

الشيخ المسن يتعلم حيلة جديدة كل يوم

التقدم في السن هو أسر الطبيعة لأجسامنا وما هو الهاتف الذكي يحرننا ولو نسبيا

هيثم الزبيدي
كاتب عراقي



يقول المثل الإنجليزي "لا تستطيع أن تعلم كلبا عجوزا حيلة جديدة". يستخدمونه لوصف الإنسان الذي تعود أكثر من اللازم على ما يعرفه. التوقف عن التعلم مظهر من مظاهر الجمود. قد تقدم حجة الاستقرار لمحاولة التملص من تهمة الجمود. قد تقدم حجة الهدوء أو الحكمة أيضا. لكن حتى مقدم هذه الحجج يدرك أنها أبعد ما تكون عن الحقيقة. الجمود في مخيلتنا مظهر من مظاهر الشيخوخة.

هكذا كان الحال لحد وقت بسيط مضى. اليوم تبدو الأمور مختلفة. انفتحت شهية كثيرين للتعلم. البعض بالغ في التعلم إلى درجة التحول إلى بهلوان. لكن الأغلبية تدرك أن تلك العادات القديمة الرافضة للتجديد والتغيير ما عاد لها من مكان في عالمنا المتغير.

في قلب التعلم الجديد هي الأدوات التكنولوجية. الكمبيوتر الشخصي كان يبدق البدء في شطرنج التحديث المعقد، لكن الهواتف الذكية (والكمبيوترات اللوحية) هي الوزير الذي صار يتقن كل الحركات تقريبا. المعرفة معك في جيبك طوال الوقت، ومنها يأتي إغراء التعلم.

الأولاد والشباب يستخدمون هذه التكنولوجيا كتحصيل حاصل. من الصعب عليهم تحيّل العالم من دونها. لكن لكي تدرك كم أحدثت هذه التقنيات من تغييرات في حياة الناس يكفي أن تنظر إلى الطريقة التي يتعامل بها كبار السن مع هواتفهم الذكية والحماصة التي يبدوها لها. لا تتخذ ببطء الاستخدام، فهذا مرتبط بالعصر. البطء يكمن في العضلات التي تتحكم في الأصابع لكن العقل على سرعته. كل مرة أرى عجوزا يتصفح هاتفه أحس أنه في سباق وكأنه يقول "أريد أن أعوض ما فاتني". سنتردد كثيرا في استخدام المقارنة اللفظية بين الكلب والعجوز في ثقافتنا لاعتبارات معروفة، لكن عجوزنا يتعلم حيلة جديدة كل يوم.

التقدم في السن هو أسر الطبيعة لأجسامنا. تكبر في العمر فيتباطأ جسدك، بينما تبدو الحياة سريعة من حولك. الحديث عن حكمة الكهول هو جائزة الترضية التي لا يعرف كبار السن أين يصرفونها. لكن التكنولوجيا تسعى إلى تحريرهم على طريقها. كانت الإنجازات التكنولوجية الميكانيكية هي أول الغيث. من الكرسي المتحرك إلى المصعد، وسبقتها النظارات والعكاز بقرور. ثم

جاءت الإنجازات الإلكترونية الأولية: سماع الأذن والراديو الترانزستور والتلفزيون. هل لاحظتم شغف الكهول في الاستماع إلى الراديو والأخبار أو حرص عجوز البيت على عدم تفويت موعده المسلسل التلفزيوني المبلج؟ عثرت التكنولوجيا الأولى بتصميم ريموت كونترول معقد يحتاج "شهادة قيادة" لمعرفة كيفية التحكم فيه لم تحل دون إقبال كبار السن على التلفزيون. من يريد العودة للمل من عمل اللاشيء أو الصراع مع حجم الخط في كتاب مطبوع؟ في البدء كانت ردة الفعل سلبية من الهواتف المحمولة. شاشات رديئة التوعية وأزرار تعصى على يد الشاب،

كفكف باصابع العجوز المرتعشة. بعض الحلول سهلت الأمر مثل تخزين الأرقام. لكن الهاتف بقي هاتفا لإجراء المكالمات. كان على كبار السن انتظار قفزة تكنولوجية جديدة. ثم جاء الهاتف الذكي. الهاتف ما عاد هاتفا، للجميع بالطبع، ولكنه بالخصوص أكثر فائدة لكبار السن. استماع لأغان قديمة من يوتيوب. راديو من تطبيق للبت المباشر. قراءة الأخبار مع تغيير حجم الحرف. تذكير بالمواعيد. اليوم صور الذكريات. تطبيقات وتطبيقات. صاروا خبراء بالبرامج التي تفسر المكالمات المجانية عبر العالم وترسل وتستقبل النكات ومقاطع الفيديو الطريفة. والأهم

مرونة بالحركة لا يعرفها أي جهاز آخر وقدرة استثنائية على تحمل صدمات السقوط والإصطدام بالأرض. استطاع آراء بعض من التقيهم ممن عبروا منتصف العمر. الشيخوخة ما عادت مخيفة. يتم التعامل معها بباريحية أكثر مما كانت عليه من قبل. ثمة قبول لها كمرحلة عمرية أكثر مما كان عليه الحال من قبل. التطور في القطاع الصحي كان عاملا مساعدا. لكن التقنيات، وخصوصا التقنيات الحديثة، كان لها الأثر الملمن. فانت لا تعيش في عزلة عندما يتقدم بك العمر ولا تحتاج أن تتعامل أحدا على مقهى للهروب من الوحدة ولا مضطرا لقبول ما يمليه عليك أبنائك وبناتك.

هذه حرية مكتسبة في عالم اليوم وفرتها التكنولوجيا. هذه تكييفات تقنية للقضية الأساسية وهي نوعية الحياة التي نحياها. كل ما يقال عن جمال العصور الماضية فيه انتقائية كبيرة وهم ونوستالوجيا ساذجة في كثير من الأوقات. الحياة التي نحياها هذه الأيام، وخصوصا كبار السن منا، هي الأفضل ربما عبر التاريخ. هذا تكييف ثقافي ومعرفي نحتاج أن نهتم به وأن نؤكد عليه لكي نتواصل معه بباريحية وإيجابية ضرورية. الكتابة للشباب مهمة. لكن الكتابة لكبار السن مهمة أيضا. هؤلاء ما زالوا يقرأون.

الهاتف الذكي لم يعد مجرد أداة تواصل (غرافيكس العرب)

الهاتف بات أكثر فائدة لكبار السن. استماع لأغان قديمة من يوتيوب. راديو من تطبيق للبت المباشر. قراءة الأخبار مع تغيير حجم الحرف. تذكير بالمواعيد. ألبوم صور الذكريات. تطبيقات

الصهيونية ومعاداة السامية: جدل فرنسي في قضية شائكة

أبو بكر العبادي
كاتب تونسي



بالصهيونية كمشروع عنصري بغض ينكر على الفلسطينيين حقهم في إقامة دولتهم وحقهم في العيش كسائر البشر. ولما كانت معاداة السامية جريمة يعاقب عليها القانون في شتى البلدان الغربية، عملت تلك اللويحات شيئا فشيئا على إخراس الأصوات المناهضة للصهيونية عبر نخب سياسية وثقافية ترى في معاداة الصهيونية معاداة للسامية ينبغي تجريمها هي أيضا ومقاضاة أصحابها، بل صارت حتى مناصرة الفلسطينيين مدعاة لتلك التهمة. رأينا ذلك مع مانويل فالس، رئيس الحكومة الأسبق، وكان يصر في معاداة الصهيونية قناعا يتخفى وراءه معاداة السامية، ورايانا مع نواب في البرلمان قدموا مشروعا لتجريمها، ووقفنا عليه قبل ذلك مع الرئيس إيمانويل ماكرون خلال استقباله لتنتياهاو عام 2017. وقد انصرت تلك المواقف معارضة شديدة الأوساط الفرنسية.

ولكن الاعتراض الأشد جاء من بعض اليهود أنفسهم. فقد كتب المؤرخ الإسرائيلي شلومو صاند، معلقا على خطاب ماكرون بمناسبة إحياء ذكرى حملة "فال ديف" التي استهدفت اليهود عام 1942 "أثنت على عزمكم مقاومة العنصرية حيثما ما كانت، والدفاع عن الجالية اليهودية المقيمة في فرنسا، ولكنني توقفت عن فهم ما تقولون حين صرحتكم معاداة الصهيونية هي

شكل أعيد ابتكاره معاداة السامية". هل هذا التصريح غايته مجاملة ضيفكم، أم هو بكل بساطة دليل على جهل سياسي؟ هل أن طالب الفلسفة ومساعد بول ريكور لم يقرأ من الكتب إلا القليل حتى يجهل أن عددا من اليهود، أو المنحدرين منهم يتصدون باستمرار للصهيونية دون أن يكونوا معادين للسامية؛ وأقصد هنا الحاخامات القدامى، وموقف جانب من اليهودية الأرثوذكسية المعاصرة".

وراح يذكره بكثير من الشخصيات اليهودية أمثال ماريك إيلمان الناجي من معتقل وارسو، ومجموعة مانوشيان التي كانت من بين من قاوم النازية، إضافة إلى ثلة من كبار المؤرخين وعلماء الاجتماع اليهود أمثال بيير فيدال ناكي وماكسيم رودنسون وإريك هوبزباوم وإدغار موران، الذين تمثل كتاباتهم إنسارة للحق الذي يعلو ولا يعلو عليه. وأضاف "بناء على كونكم اشتغلتم في

بنك روتشيلد، استحضركم قولة لاثان روتشيلد، أول رئيس لإقتصاد كنانيس اليهود في بريطانيا، وأول يهودي تم تعيينه لوردا في المملكة المتحدة، قبل أن يُعين محافظا لبنكتها المركزي. في رسالة وجهها إلى تيودور هرتزل عام 1903، كتب يقول "أقولها بمنتهى الصراحة. أنا أرتجف لفكرة تأسيس مستوطنة يهودية بأنتم ما في المستوطنة من معنى. مستوطنة كهذه سوف تصبح غيتو، مع كل سلبيات الغيتو. دولة يهودية صغيرة، بل صغيرة جدا، متعبدة وليست ليبرالية، تطرد المسيحي والأجنبي". قد يكون روتشيلد أخطأ نبوغته، ولكن الثابت أنه لم يكن معاديا للسامية".

ومضى شلومو صاند يقدم للرئيس ماكرون في مقالته تلك تعريفا لمفهوم الصهيونية، مبينا أنها لا تعني اليهودية، بل هي ثورة راديكالية عليها. ومنذ كان اليهود الاتقياء كان لهم شوق كبير إلى أرضهم المقدسة، لا سيما أورشليم، ولكنهم التزموا بالتعاليم التلمودية التي تأمهم بالاهجور جمعًا قبل مجيء المسيح المخلص، لأن الأرض ليست ملكا لليهود بل لله. والله أعطى، والله أخذ، وعندما يشاء، سوف يرسل المخلص ليعيدها. ولكن عندما ظهرت الصهيونية، خلعت الخالق القدير من عرشه لتجلس عليه ناشطا أنميا. وتساءل المؤرخ الإسرائيلي ما إذا كان تأسيس دولة يهودية على أرض أغلب سكانها عرب للسامية؟



المطالبة بتحرير فلسطين = معاداة للسامية

مسلمون ومسيحيون إلى جانب أقلية يهودية فكرة مقبولة أخلاقيا. وذكر بالمعطيات الديموغرافية التي تأسست فيها إسرائيل عام 1948، حيث كان في فلسطين ستمئة وخمسون ألف يهودي، ومليون وثلاثمئة ألف من العرب المسلمين والمسيحيين، تحول نصفهم إلى لاجئين، قائلا إن طفلا ولد نتيجة اغتصاب من حقه أن يعيش، ولكن ماذا يحدث إذا سار ذلك الطفل على خطى أبيه؟

وفضح صاند القوانين التي تؤكد أن إسرائيل ليست ملكا للإسرائيليين، بل لليهود العالم كافة. حتى أولئك الذين لا يرضون العيش فيها. فهي "ملك مثلا لبرنار هنري ليفي والأين فينكلراوت أكثر من طلبتي الفلسطينيين الذين يتكلمون العبرية أحيانا أحسن مني. بل إن ثمة مساعي لتهجير الإسرائيليين العرب، تقدم بها وزراء في حكومة تنتياهاو دون أن يعترض عليهم أحد، أو يقاضيهم أحد".

ضافيا عن الوضع في الضفة الغربية وقطاع غزة، وسياسة الميز العنصري التي ينتهجها الصهاينة. والقتل والنفتيش والإستيطان، ختم بقوله "ولما كنت متحذرا من يهود عانوا كثيرا من التمييز العنصري والعقدي، فأنا لا أريد العيش في بلد يعزف نفسه بالعبري، ليجعل مني مواطنا ذا امتيازات، فهل أنا في رأيكم، يا سيادة الرئيس، معاد للسامية؟"